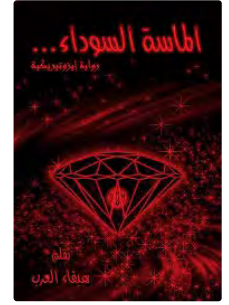


العدد 25 صدر في 10 تشرين الأول 2013



الماسة السوداء، قراءة في الحب الواعي والحب الأصيل

نسرین رجب

2013/12/02

نسرین رجب تكتب ،

لم أدرك ذلك مباشرة، لكنه أعجبني وانجذبتُ إليه ، فَنَمَيْتُ ذلك حُباً بيني وبينه ، ثُمَّ كَافَحْتُ إلى جانبه كي أرتقي بكل ما أشعر فيه حياله ليكون حبي حقيقياً.

هذا ما تخبره ميساء بطلّة أو محور رواية الماسة السوداء*، لرشاً مُساعدتها في العمل وصديقتها.

إذا ليس هو الحب من النظرة الأولى، وليس هو أمير الصُدفة، وليست هي شهرزاد الحكايا التي لا تنتهي، هُو حُب يستحق إعادة اختباره، وبلورة مفهومه ومنحه إنسانية المعرفة.. وصولاً الى كائن انساني مكتمل الذكورة والأنوثة.

في العنوان:

الماس الأسود في حقيقته الماديّة هو الذي يحوي ماء، أو فيه روح، كما يصفه الخبراء. فهذا هو الماس النادر الذي يتواجد على ضفاف الأنهار- في بقاع منعزلة، وفي الايزوتيريك* .. الماسة السوداء ترمز الى تفتح مستوى اللحمية والتجانس والحكمة في النفس،..والى تفتح الأضداد في انسجام متكامل يفعل لحمية النفس البشرية تمهيداً لتفتح مقدراتها . تظهر ملامح هذا التفتح في شخصية الساعي الى الوعي في حكمة الفكر والقول والعمل ، الحكمة العملية في كل شأن ومحورها عاطفة الخير الفاعلة في النفس.

في زمن الإزدحام، والتخالط، زمن الحُب العابر، واللوااعي لما تفرضه الحياة من مسؤولية،تهدف الى إنماء الحس الإنساني والروحي في علاقتنا مع من نحب، حيثُ : الحب الأصيل نادر وعسير ، تماماً كالماسة السوداء النادرة الوجود والنائية في أنهر يصعب التنقيب عنها.

تطرح علينا الرواية تعريفاً ماسياً للحب، المُتفتح على درب الوعي، والإرادة الفاعلة، الحب الاصيل هو ماسة النفس السوداء المصقولة بلوعة الفراق وروعة اللقاء.

بعد تجربة انتظار الرجل المناسب، تصاب ميساء بانهياب عصبي في ظل الزوجية، وتكاد تقع في شرك الخيانة، انتقاماً من قسوة الزوج واهماله، ايلان يقرر هجرها عندما تصارحه بما كان منها..وفي رحاب الايزوتيريك يلتقيان ،الحب لا يخنقه الزواج ولا الجنس ولا أي شيء آخر، وإنما عدو الحب الأكبر هو التفوق والضعف والتسلح بالأنا وانعدام التجدد، والتحايل والتهرب من المسؤولية وانعدام العمل على ازالة السلبيات، وبمشورة المعلم يمشيان على درب الحُب الواعي

حتى يُهدد الموت قلب ايلان، فتبرز اشكالية : هل بإمكانني أن أتغلب على الموت من خلال الوعي أو من خلال

الحب؟ يقول ايلان: إن رحلتَ عنها قبلك، لا تنسي لحظات السعادة التي باركت حبنا. وإن رحلت قبلي فسأخترق بواطن نفسي كي أجدك وأتواصل معك. حبذا لو نتابع ما تعهدنا به في محراب حبنا لدورات حياتية متتالية.. ، كل حب واع يتحقق في الأرض ينبعث تأثيره ويتجمع في هذا العالم.

الشخصيات المحورية، وصراع التجربة:

ميساء فتاة عصرية، خضت أكثر من تجربة حب وفشلت ، ومتحفظة في آن، فأفكاري كانت كلاماً بكلام أو شعارات لا تنسجم مع واقعي..، ذهني المشبع بالنظريات بات يثقل كاهلي ، متفوقة في تحصيلها الأكاديمي، وعاملة نشطة في أحد المصارف، فقاتتها أن تثبت نجاحها في العمل حتى تتمكن من تحقيق طموحها بانتظار الرجل المناسب،

ايلان هو أحد العملاء الذين لم تعرهم اهتماماً، بعيداً عن المستوى العملي، فالرجل لم يجذب انتباهي، كما تقول، تعيش وحيدة بعد وفاة والدتها.. تتعرف الى الايزوتيريك من خلال صديقة مقربة ، دعته الى حضور محاضرة وهناك تلتقي بإيلان حيث يأخذ تعارفهما طابعاً جديداً، تهتم بمطالعاته الايزوتيريكية ولكن لا توليها اهتماماً، يتزوجان ، وينجبان توأماً.. ولكن بتنا زوجا وزوجة مكرهين على العيش تحت سقف واحد، كأنما ظروف الحياة المشتركة ومسؤوليتها استنزفت كل عاطفة حب بيني وبينه، هذا الجفاء يدفعها أثناء غيابه بحجة السفر حتى تكاد تخونه جسداً مع صديق قديم، لم أحن ايلان بجسدي ولكني فعلت بكل ما هو دون ذلك. تصاب بانتهيار عصبي، واذ بها تصارح ايلان بخيانتها بعدما ظهر قلقه حيال مرضها، الأمر الذي يشكل انسلاخاً آخر بينهما فيقرر أن يهجرها متكفلاً بمصاريف المنزل والتوأم. تعود لتوثق علاقتها بعلم الايزوتيريك تلجأ الى المعلم، الذي يسديها النصح.. وإيماناً بمقولة المعلم: حياتك لا ترسم تفاصيلها او تسجها المصادفة تستقي من مناهل الكتب والمحاضرات معارفاً جيدة، بحثت عن مؤلفات الايزوتيريك بدأت أطلعها من جديد بانتظام وشغف، بعد ذلك بدأت أتردد الى محاضرات الايزوتيريك بانتظام... تلتقي بإيلان مجدداً هناك التقينا كغرباء يفصل بيننا ألم مشترك وجرح لا يزال مفتوحاً فتصل الى قناعة بأن رغبتها في الانتقام من قسوة ايلان وتسلمته هي ما دفعها لخيانته، تستنشق بأن بعدها عن نفسها يوازي بعدها عن ايلان.

الايزوتيريك يُقربها من نفسها هذه القوة السحرية للمُحاضرات تُكسبها راحةً عميقة فتتحسن علاقتها مع ابنتيها وتعي حبها لإيلان فتحاول توثيق علاقته بعائلتهما ، واذ بها تنتساءل عن مدى تأثير الخيانة في النفس البشرية يجيبها المعلم: الخيانة تتسبب بشرخ باطني يجعل سلبيات النفس العميقة تظهر قبل أوانها أي قبل أن يصبح المرء مستعداً لمواجهتها. واذ بها تعي حبها لإيلان ذلك الحب الواعي يحتاج الى تعزيز النفس من الأنانية..والقسوة والعناد والكبت المؤسس للتحايل ، والتي هي صفات عدو الحب اللدود.

توعك ايلان واهتمامها به يُعيد أواصر علاقتيها فيسعيان معاً الى تعميق حبهما من خلال رفعه من مستوى الحب الواعي الى مصاف الحب الأصيل الذي يمتد على أكثر من دورة حياة واحدة، تتفتح من خلاله على انسانية المشاركة للعمل في سبيل الخير العام، وهو ما يمهد الوصول الى الحب الكبير حيث ذروة الانسجام بين المرأة والرجل وهو المرحلة النهائية التي تسبق اتحاد النصفين الأصيلين،..

المعلم، وهو كما تصفه في بداية لقاءها به رجل مسن توحى نظراته بقوة غريبة، ينادونه بالمعلم وهو مؤسس هذا العلم. نلمس حكمته في الكثير من المواقف التي يوجه من خلالها ايلان و ميساء، ثم ميساء وحدها.. ويُسدي النصح..من غير املاء. يمنحها مهمة كتابة رواية حبها بعد فقدها ايلان وسعيها الى تأصيل حبها له، هي روايتك أنت ، رواية حبك وتوصلاتك وبلوغك..فاجعلي منها بحثاً وتحليلاً في خيمياء الحب الأصيل..وهكذا يتحقق لها تواصلها مع عالم ايلان حيث يحفران معاً توصلاتهما في الحب الأصيل وفي سعيها المحموم لإحقيق خاتمة تختتم بها روايتها لتقدمها الى المعلم، يكشف لها بأن الحب ليس له نهاية انت تسعين الى لقاء ايلان على نحو يشبه لقاءكما في عالم الأرض!! وذلك يعني..أن طموحك مشاعري أكثر منه فكري..في مساعيك أنت

تطمحين الى النهاية وربما الى الانتقال من حياة الأرض للقاء حبيبك ، وإن لا وعيا منك..في حين أن طموح المعرفة هو بداية مستمرة أينما كنت على الأرض أو ما وراءها... لا تنسي موت الجسد هو حياة الباطن.

نتعرف خلال الحكى الى رشا مساعدة ميساء في العمل وهي متفوقة ومغترية، ولا تجمع صفات التواضع ، مما يعيقها عن الثبات في علاقة حب مستمرة : ولكن أنى لها أن تعرف الحب، وهي تتلون وتتقلب بحسب مصطلحتها وأنائيتها؟ وبمساعدة ميساء نجدها تنتسب الى معهد الايزوتيريك، وتقع خطيبها بالانتساب كطالب معرفة، ويسافران معا حيث يبينان مستقبلهما.

ونتعرف الى أبو وائل صديق والد رشا، الرجل الثمل، هجرته زوجته وتزوجت رجلا آخر بعد حادثة وفاة ابنيهما بعد أن حملته المسؤولية كاملة ، حيث تكفل والد رشا بإدارة محله في ظل غيابه عن نفسه والعالم حوله.

هذه النماذج تقع على النقيض من سعي ميساء وايلان الى تأصيل حبهما ، وهي عرض وقائع لنماذج نُعايشها في واقعنا حيث يضيع الحب وسط الانانية والتحايل والاستسلام والضعف والتهرب من المسؤولية.

الرواي:

هو محور العالم الروائي ، فهو المتكلم في النص وهي شخصية فاعلة ومحورية ،فميساء هي شخصية فاعلة تتكلم عن ذاتها، من خلال الحكى بضمير المتكلم، الأنا متكلمة ساردة وهي شخصية حكاية، مما يؤثر على كثافة السرد، فالسرد هنا كثيف شخصي، ينجزه الراوي بضمير المتكلم، فهي آتية من زمن الحدث ، نشهد تطور خبرتها النفسية وتفتح مستوى ادراكها ، وقدرتها على محاسبة نفسها وترجمة انفعالها، وهي خارج كون القصة اذ انها الراوي الأساس الأول تروي بضمير المتكلم قصة هي شخصية محورية فيها، وحاضرة في كون القصة باعتبارها شخصية مشاركة وفاعلة وعلى مقدرة من النماء المعرفي والعقلي داخل العالم الروائي وهي راو محدود المعرفة حيث أن معرفته لا تتعدى حدود الذات وما سمع وعرف ، وقد تتنازل ميساء عن موقعها كراو، لوهلة لتمنح احيانا ذلك لشخصيات تحدثها حكايتها، كما فعل والد رشا حين حدثها عن ابو وائل ،فالرؤية عميقة تغور في الابعاد النفسية والروحية للشخصية وتمنحها لسانها وقولها الشخصي، يبدو النص كسيرة ذاتية تشي بكل ما تشعر به ميساء الا اننا لا نتعرف على باقي الشخصيات الا من خلال ما نُخبرنا به ميساء.

الزمن، والمكان:

تقع الرواية في 206 صفحة، وهي عبارة على خليط زمني، استرجاع داخلي يعود الى ماض ضمن الحكاية، تسترجع فيه ميساء بداياتها قبل الزواج وأثناء الزواج. السرد سريع حيث تغيب مراحل زمنية، وتكون سرعة السرد في اقصاها فتوقفنا عند مرحلة تعارف ايلان وميساء، عندما واجهت ميساء فكرة التجربة بالجسد قبل الزواج، فرأيها متمنعة باكية، امام إصرار ايلان بخوض التجربة ، وهي ترفض ..ثم يأخذها الى قمة خلاصة ذات رؤية دائرية، حيث يُشكل المكان نموذجاً حسيّاً مُساهما في بناء الحدث الروائي، ومؤثرا به فهو ذاكرة الحب، القمة الخلاصة، القهوة، وهو مكنم الصراع منزل الزوجين، وهو الحياض حيث عمل ميساء.. وهو انفتاح الرؤية حيث مكتب المعلم، لذا فأهمية المكان تتحقق كإطار للحدث.

..ثم نخبرنا عن فترة الخطوبة انها دامت لسنتين وبعد ذلك يتزوجان، وهذا التقصير في السرد وغياب التفاصيل نجده بعد مصالحة ايلان وميساء وكأن بالرواية تُهمل تفاصيل الفرح لتتعمق في تجربة المرحلة اللامسؤولة والتعيسة من عمر زواجهما، والفراق الصعب الذي تجلى بموت ايلان، ونقع على الكثير من المشاهديات الحوارية حيث يتطابق زمن الحكاية وزمن القصة، وبعد اضطراب علاقتها بايلان ..وتطور صلتها بعلم الايزوتيريك ثم بايلان، وبأولادهما، يصاحب هذا الاسترجاع وقفات زمنية غير محدودة تتمثل بالحوار بين

الشخصيات ، حيث تتداخل الشروحات الايزوتيريكية والتعليقات ..فهو حوار يُغني ركيزة الموضوع الذي تتناوله الرواية، حيث تُشكل الرواية تناصاً جلياً مع علم الايزوتيريك فيتشكل من خلالها حقلاً مُعجمياً غني بالمفاهيم والمصطلحات التي تتصل بهذا الموضوع: الرقة، الاحتواء، متاهة السلبيات، وسعي مدارك يتقلص حيز التناقضات، الارادة، درب المعرفة،تفتح مستوى الأُحمة ..، القوة النفسية،تفتح المقدرات، الحب الواعي، سلبيات النوايا الخافية قلبنة العقل وعقنة القلب،عمق عالم الباطن، دائرة النار، دُبذبات... هذا التناص هو ما يمنح الرواية صفتها الايزوتيريكية ، ويدفعنا للتساؤل عن مدى صدق التجربة ، فالحب في مفهوم الايزوتيريك هو انفتاح على الذات والآخر وتحرر من السلبيات ، وتخطي حالات الواقع عبر سبر أغوار الباطن، وتخليصها من كل ما يرسخ في ارضيتها من صفات سالبة ، فما يحصل ليس صدفة، فالعُرفَةُ لا تكبر ولا تنمو بل الانسان هو من يكبر بالمعرفة وينمو بها.

المراجع:

الماسة السوداء*-هيفاء العرب- منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء- بيروت لبنان.
الايزوتيريك*: هو العلم الاول على الارض منذ ما وطئ الانسان هذا الكوكب! هو علم الانسان ككل لا سيما معرفة النواحي الخفية واللامنظورة، في معناها اللامحدود. وبما ان الانسان هو المحور والمنطلق ، ينطلق الايزوتيريك من معرفة الانسان لذاته ، عبر منهج داخلي عملي ، او عبر درب باطنية تطبيقية...ويتوسع في كل ما حوله ، ليشمل كل علم وكل معرفة. من هنا ، كان كل علم يتعلق بالانسان - ان كان ماديا ، باطنيا ، او روحيا - يعتبر جزءاً من الايزوتيريك. . (المصدر ويكيبيديا الموسوعة الحرة) ..

رابط الكاتبة على فايسبوك:

<https://www.facebook.com/NesrinRajb>